

الإسلام والأمن الاجتماعي

بقلم

د. مريم بنت حسن آل خليفة

يعتبر الأمن الاجتماعي عاملاً أساسياً في حفظ الإنسان وفي سلامة مجتمعه، ولا يمكن أن يكون المجتمع متماسكاً متطوراً ومستقراً، إذا لم يكن هناك أمن اجتماعي، تتوفر في ظلّه سبل الطمأنينة والرفاهية والقدرة على التغلب على العوز والمرض والجهل، وحتى يتحقق كل ذلك لا بد من توفير سبل تأمين مقومات الأمن الأساسية وطرق القضاء على معوقات تحقيقها.

لقد ارتهن تطور المجتمع الإنساني بمعرفة الإنسان بدقائق البنية التي تقوم عليها حياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية، فالإنجازات العملية تأتي كتطبيق لتصور أو رؤية معينة في ذهن الإنسان تتعلق بكيفية الوصول بالمجتمع إلى التوافق الاجتماعي الذي يقود في النهاية إلى توفر الأمن الاجتماعي الذي هو غاية في ذاته يتأسس عليه استقرار المجتمع وتطوره.

لذلك نجد أن التطلع إلى بلوغ المجتمع مرحلة الأمن الاجتماعي قد رافق كل العصور والأجيال، على أن الإسلام كان رائداً فيما يتعلق بمكانة الأمن الاجتماعي في المنظومة الحياتية التي جاء بها، حيث أنه لم يقف عند تحقيق ذلك الأمن للفرد وإنما للجماعة أيضاً، وجعل توفيره بمثابة فريضة إلهية وواجباً شرعياً وضرورة من ضرورات استقامة العمران الإنساني، كما أن الرؤية الإسلامية قد جعلت من إقامة الأمن الاجتماعي

الأساس لإقامة الدين، فرتبت على صلاح الدنيا بالأمن صلاحاً للدين (١).

لقد عرف العالم مع انتصاف القرن العشرين تطورات هائلة في صناعة الأسلحة أدت إلى قيام الحروب التي قضت وشردت وهدمت وغيرت من سلوكيات الأفراد التي أصبح العنف طابعاً لها، هذا بالإضافة إلى التطورات في مجال الصناعة والتقانة مما خلق مجتمعات تتمتع بالرخاء المادي وبقية مجتمعات أخرى تعاني من الفقر والعوز، الأمر الذي مس نهج حياة الأفراد والمجتمعات وأثر في نسق هذه الحياة بما أحدثه من تغيرات عدة في المفاهيم السلوكية للأفراد سواء بسبب زيادة الرفاهية أو ندرتها.

من هنا كان لا بد من بيان دور الإسلام في تحقيق الأمن الاجتماعي، بما أتى به من صياغة لمنظومة حياتية تقوم على أساسيات يتحقق بتحقيقها الأمن الاجتماعي.

ومن أجل الوصول إلى بيان هذا الدور بشكل واضح لا بد من البدء في تحديد ماهية الأمن الاجتماعي ومقوماته وصولاً إلى عوامل تحقيقه، لذلك فقد تم تقسيم هذا الموضوع إلى مباحث ثلاثة، يختص المبحث الأول بتحديد ماهية الأمن الاجتماعي، كما يختص المبحث الثاني ببيان مقوماته وأخيراً فإن المبحث الثالث يختص بإيضاح عوامل تحقيقه على النحو التالي:

- المبحث الأول: في ماهية الأمن الاجتماعي
- المبحث الثاني: في مقومات الأمن الاجتماعي
- المبحث الثالث: في عوامل تحقيق الأمن الاجتماعي

المبحث الأول ماهية الأمن الاجتماعي

الأمن لغة هو ضد الخوف أي الفزع وفقدان الاطمئنان، فالأمن نقيض الخوف (٢)، كما أن أمنٌ تعني اطمأن ولم يخف فهو آمن (٣) وأيضا الأمن هو تحقيق السكينة والطمأنينة والاستقرار على مستوى الفرد والجماعة (٤). ولقد ورد في القرآن الكريم (آمنهم من خوف) (٥)، أي أسبغ عليهم الطمأنينة، وجاء في دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم (اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف) (٦)، فالأمن هنا بمعنى الاطمئنان مقابل الخوف.

وكما يكون الأمن للجماعة يكون للمكان كما في قوله تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة...)(٧)، ويكون الأمن كذلك للعمران أيضا (أتركون في ما هاهنا آمنين) (٨).

إن ماهية الأمن التي هي الطمأنينة في مقابل الخوف والفزع لا تختلف بالنسبة للفرد والجماعة والأماكن والعمران إلى آخره، وإذا كان المراد هو الأمن الاجتماعي، فإن المقصود بهذا الأخير هو السلوك أو الموقف نحو الآخرين، أي العلاقات الاجتماعية أو علاقة الفرد بالفرد والفرد بالجماعة والجماعة بالجماعة، أي هو العمران البشري والاجتماع الإنساني، فإن الأمن الاجتماعي في هذه الحالة يعني (الطمأنينة التي تنفي الخوف والفزع عن الإنسان، فردا أو جماعة في سائر ميادين العمران الدنيوي) (٩).

إن الأمن لا يكون إلا اجتماعيا، لأن أي اختلال في الأمن الاجتماعي يترتب عليه زوال أمن الفرد، من هنا نجد أن الرؤية الإسلامية للأمن الاجتماعي ترتبط ارتباطا جذريا بالعمران الإنساني الذي تعده هذه الرؤية من باب الضرورات، فنجد أن مقاصد الشريعة الإسلامية كما بينها علماء أصول الفقه تقوم على ضرورات خمس يمكن اعتبارها مقومات الأمن الاجتماعي وهي الحفاظ على الدين وعلى الإنسان وعلى العقل وعلى النسب وعلى المال، ويذهب أبو حامد الغزالي إلى أن (نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا) (١٠).

(٢) لسان العرب لابن منظور - المجلد الأول - بدون تاريخ - بيروت - ص ١٠٧

(٣) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية - القاهرة - ١٩٨٠ م ص ٢٥

(٤) د. محمد السيد المليجي. الأمن في الإسلام حاجة إنسانية - مجلة الوعي الإسلامي - العدد رقم ٤٩٢ بتاريخ ٢٣ / ١٢ / ٢٠٠٦ م - الكويت

(٥) الآية ٤ من سورة قريش

(٦) مسند الأمام أحمد - رقم الحديث ١٥٥٢١

(٧) الآية ١١٢ من سورة النحل

(٨) الآية ١٤٦ من سورة الشعراء

(٩) د. محمد عمارة - الإسلام والأمن الاجتماعي - القاهرة - ١٩٩٨ م ص ١٣

(١٠) أبو حامد الغزالي - الاقتصاد في الاعتقاد - القاهرة - بدون تاريخ - الجزء الثاني ص ٥

من هنا فإن الأمن الاجتماعي يشمل كل نواحي الحياة التي تهم الإنسان المعاصر، فهو يشتمل على الاكتفاء المعيشي والاقتصادي والاستقرار الحياتي، كما يشمل تأمين الخدمات الأساسية، لذلك فقد ربط العلماء المسلمين بين أمن الفرد وأمن الجماعة حيث بين الماوردي ذلك في قوله (أعلم أن صلاح الدنيا معتبر من وجهين: أولهما ما ينتظم به أمور جملتها والثاني ما يصلح به حال كل واحد من أهلها) (١١).

وعلى هذا فإن الأمن الاجتماعي في الإسلام هو من الشمول بحيث يتصل بكل ما له علاقة بالإنسان سواء على المستوى الفردي أو الجماعي.

المبحث الثاني مقومات الأمن الاجتماعي

يقوم الأمن الاجتماعي على مقومات وأسس عدة، يأتي على رأسها التماسك بين أفراد المجتمع ثم التوافق على مبادئ سلوكية وأخلاقية واحدة وأخيرا التعاطف بين أبناء الوطن الواحد.

فالتماسك بين أفراد المجتمع يعد من المسلمات التي لها أولوية في تحقيق الأمن الاجتماعي، والتي يساعد عليها كون المجتمع مكتفيا اقتصاديا وثقافيا. وكون الأفراد يشعرون بانتمائهم إلى وطنهم ومجتمعهم انتماء وثيقا حيا يتفاعل معه الجميع، ذلك أن الانتماء هو الأساس للحياة الاجتماعية الحقة. إن إحساس الفرد بالانتماء إلى مجتمعه يؤدي بالتالي إلى انتمائه إلى أرضه أي إلى الوطن، هنا تبرز أهمية الانتماء إلى الأرض وأهمية إذكاء هذا الانتماء منذ الطفولة كي يصبح حافظا عند الكبر، بأن يعطى معنى للوجود على هذه الأرض دون غيرها، وهذا المجتمع دون غيره، فينمو نمو إنسانيا اجتماعيا يحد من الأنانية الذاتية ويكرس الوظيفة الاجتماعية للإنسان التي تضي بدورها شعورا بالانتماء إلى مجتمعه وما يؤدي إليه من تألف أفرادها بما يقوي الروابط المجتمعية ويوفر التماسك المجتمعي.

أما التوافق على مبادئ سلوكية وأخلاقية واحدة، فإن للألفة دورا في تحقيقه، وذلك عبر توافق المجتمع على مبادئ سلوكية وأخلاقية واجتماعية واحدة تتضمن التناسب والتقارب في المواقف والتطلعات. هذه المبادئ والسلوكيات الأخلاقية والاجتماعية الواحدة مبادئ مكتسبة يرثها الأبناء عن الآباء والأجداد نتيجة لانتقال الثقافات عبر المحافظة على التراث ونتيجة للتعليم والاكساب، مع ضرورة القدرة على التأقلم مع المتطلبات المستحدثة التي تفرضها المستجدات الطارئة فتتأقلم معها انسجاما مع أنماط الحياة التي تفرضها، وهنا تبدو أهمية صلابة تلك المبادئ وصفائها وترسخها في جذور المجتمع، كما تبدو أهمية المرونة التي يجب أن تتصف بها بحيث لا يحصل تباعد بين تلك المبادئ الأساسية وبين ما يتطلبه العصر من توافق مع المستجدات، فلا تزمّت ولا تحجر كما لا انفلات من عقال السلوكية والأخلاقية سياج الأمة ضد التفكك وفقدان الهوية الوطنية، ذلك الرباط الوثيق الذي يجمع أفراد الوطن الواحد ويشدّهم إلى أصالتهم وجذورهم الثقافية والأخلاقية والوطنية (١٢).

(١١) أبو الحسن الماوردي - أدب الدنيا والدين - بيروت - ١٩٧٨م ص ١٣٤

(١٢) د. مصطفى العوجة - الأمن الاجتماعي - بيروت - ١٩٨٢م ص ٧٧ ما بعدها

فإذا تأمن هذا التوافق بين أفراد المجتمع وأبناء الوطن الواحد حول المبادئ السلوكية والأخلاقية والاجتماعية تكون قد تأمنت إحدى المقومات الأساسية للأمن الاجتماعي، فالأمن الاجتماعي لا يقوم إلا على أرضية ثابتة وصلبة مكونة من تلك المبادئ.

وفيما يتعلق بالتعاطف بين أبناء الوطن الواحد، فإن المجتمع السليم الذي ينعم أفرادها بالأمن يفترض أن تقوم العلاقات فيما بينهم على الأخوة تحكمهم رابطة أخوية حول مبادئ سامية، وكما في حديث المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم (المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس من نفع الناس) (١٣)، كما أن الماوردي اعتبر الألفة الجامعة شرطاً من شروط ثلاثة يصلح بها حال الإنسان وهي ذات (نفس مطيعة إلى رشدها منتهية عن غيها وألفة جامعة ومادة كافية) (١٤)،

ويحض القرآن الكريم في الكثير من الآيات الناس على أن يكونوا رحماً في ما بينهم، كما في قوله سبحانه (إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم) (١٥)، وقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) (١٦).

من هنا نجد أن الرابطة بين الأخوة تكون باجتماعهم حول مفاهيم واحدة وبما تمليه من مبادئ سلوكية، فيسود التعاطف بينهم وتسود الرحمة وكلاهما ضروري لحياة اجتماعية آمنة مطمئنة إلى الحاضر والمستقبل. وقد تنبه علماء المسلمين لهذه الرابطة ولحكمتها التربوية في المجتمع، فنجد على سبيل المثال الإمام الغزالي يقول في كتابه إحياء علوم الدين (وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً، إنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء فكذا النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم) (١٧).

(١٣) رواه البيهقي في شعب الأيمان - رقم الحديث ٧٦٥٨

(١٤) أبو الحسن الماوردي - أدب الدنيا والدين - بيروت - ١٩٧٨م ص ١٤٨

(١٥) الآية ١٠ من سورة الحجرات

(١٦) البخاري - رقم الحديث ٥٦٦٥ ومسلم - رقم الحديث ٢٥٨٦

(١٧) الأمام الغزالي - إحياء علوم الدين - الجزء الثالث - ص ٦١

المبحث الثالث عوامل تحقيق الأمن الاجتماعي

يتحقق الأمن الاجتماعي طبقاً للعديد من العوامل التي تتشكل من مجموعة من الحقوق الإنسانية، ومن هذه العوامل التي لها العلاقة بالأمن الاجتماعي نختار أربعة وهي: الحق في بيئة تربوية والحق في الاستقرار والحق في السلام وأخيراً الحق في سلامة البيئة الطبيعية.

أولاً: الحق في بيئة تربوية

فالحق في بيئة تربوية سليمة يعد من أهم البيئات التي حرص الإسلام على العناية بها من حيث ما توفره هذه البيئة لأبناء المسلمين من شروط تعتمد أساساً تربوية صحيحة وتحقق لهم العيش في حياة هادئة مطمئنة تحضهم على الإسهام في صنع حضارة ذات طابع أخلاقي وعلمي في آن واحد.

ومن أبرز الأسس التي تحقق الأمن والسكينة في التربية الإسلامية العناية بالعقيدة الدينية التي توجه الفرد والمجتمع إلى العمل بما يحقق الخير للمجموع، حيث تقوم قاعدة الإسلام في التربية على جعل الإنسان نموذجاً للإنسان بالمعنى الصحيح، أي ذلك الإنسان الذي يستثمر مواهبه في الخير الذي يعود على البشرية بالرفعة والنهوض (١٨).

ثانياً: الحق في الاستقرار

أما الاستقرار فإن الإسلام قد أقام قواعده على العدل والإحسان وصلته الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن الفحشاء والمنكر والظلم والبغي بغير الحق، بما يحقق الحماية لكيان المجتمع وبما يحميه من التفكك والتشرد والضياع فقال سبحانه وتعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) (١٩).

كذلك حقق الإسلام الاستقرار عندما دعى إلى الحوار ونشر الحريات والأخذ بالشورى فقال تعالى (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (٢٠).

(١٨) د. محمد السيد المليجي. الأمن في الإسلام حاجة إنسانية. مجلة الوعي الإسلامي. الكويت. العدد رقم ٤٩٣ تاريخ ٢٣/١٢/٢٠٠٦م

تذكرون) (١٩).

(١٩) الآية ٩٠ من سورة النحل

(٢٠) الآية ١٢٥ من سورة النحل

ومما يسهم في تحقيق الاستقرار للفرد والمجتمع إقامة عدالة اجتماعية تقضي على عبودية الإنسان لأخيه الإنسان، وتعمل على مكافحة الجوع والفقر ونصرة المظلوم والتعاون ونبذ الفرقة ومراعاة حقوق الأقليات والتحرر من الخوف وإتباع القدوة الحسنة، حيث قال سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) (٢١)،

وكما جاء في الحديث الشريف (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا) (٢٢).

ثالثاً: الحق في السلام

يقوم التصور الإسلامي على فكرة العالمية في جميع جوانبه أو رؤيته الكلية للكون والإنسان والحياة، ذلك أن العالمية الإسلامية مثلت ولا تزال

تمثل قوة تفاعل عضوي يوحد البشرية ويرفع الحواجز بينها، فقد جاء الإسلام بالسلام ولم يسجل التاريخ واقعة واحدة قتل فيها المسلمون شعوب المناطق التي فتحوها، فالقتال موجه ضد جيوش لا ضد شعوب، وبعقيدة وجوب الدخول في (السلم كافة)، فلم تكن عالمية الإسلام عالمية تعصب أو دعوة تنطلق من الخصوصية الجغرافية البشرية.

وتتجلى دعوة الإسلام للسلام في قوله تعالى (ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) (٢٣)، وذلك باعتبار أن كرامة الإنسان وحياته من الحرمات التي يجب تعظيمها، وهو ما يظهر في قوله تعالى (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) (٢٤)، مما يؤكد على أن الإسلام يدعو للسلام بين البشر، وعدم الاعتداء على الحياة الإنسانية، وكما في قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في حجة الوداع (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) (٢٥).

أن الحق في السلام يعني خلو العالم من ويلات الحروب والمنازعات المسلحة مهما كانت أسبابها، ولذلك فقد دعى الإسلام إلى التعاون بين الشعوب والأمم كما في قوله تعالى (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم) (٢٦)، وقوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين) (٢٧)، ذلك أن القاعدة في الإسلام هي الدعوة إلى البر والتعاون ونبذ الخلاف والتنازع كما في قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (٢٨).

ولقد قامت العلاقات الدولية في الإسلام على أساس المسالمة والتعاون بين الدول كافة، حيث أقر الإسلام قيام العلاقات الدولية على التعاهد، وان العلاقات بين الدول المتعاهدة تقوم على صيانة الأمن والسلم والحفاظ على العلاقات الودية بين الدول من ناحية وبين الشعوب من ناحية أخرى

وبما أن الدول الحديثة جميعها أعضاء في منظمة الأمم المتحدة، وتقوم بينها علاقات تعاهدية بالنظر إلى أن ميثاق الأمم المتحدة هو اتفاقية جماعية دولية، فإن جميع الدول مع اختلاف أجناس شعوبها وأعرافهم ودياناتهم وثقافتهم لهم ذات الحق في السلم والأمن، وعدم الاعتداء عليهم أو النزاع معهم، حيث تنطبق عليهم حقوق وواجبات الدول المتعاهدة التي

بينها عهود ومواثيق، كما في قوله تعالى (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً) (٢٩) وقوله تعالى (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) (٣٠).

(٢٣) الآية ٣٠ من سورة الحج

(٢٤) الآية ٣٢ من سورة المائدة

(٢٥) أبو الحسن الندوي. السيرة النبوية. بيروت. ١٩٨١م ص ٤٥١

(٢٦) الآية ١٣ من سورة الحجرات

(٢٧) الآية ٨. من سورة الممتحنة

(٢٨) الآية ٢ من سورة المائدة

(٢٩) الآية ٣٤ من سورة الإسراء

(٣٠) الآية ١٧٧ من سورة البقرة

لقد نظم الإسلام العلاقات بين الأفراد والأفراد وبين الجماعات والجماعات وبين الفرد والجماعة تنظيمًا دقيقًا لم ترق إليه النظم والمبادئ التي وضعها الإنسان، بل هي في الواقع تستمد منه التنظيم لأمر الخلق جميعًا، فلا يوجد تشريع قديم أو حديث يتناول الإقرار بالحقوق والواجبات لبني البشر جميعًا إلا ووجدنا الشريعة الإسلامية قد تطرقت له.

إن التنظيم الذي جاء به الإسلام تنظيم متكامل وشامل للعلاقات جميعًا سواء ما كان منها متصلًا بمجال علاقة الأفراد بعضهم ببعض أو ما كان متصلًا بعلاقة الدولة الإسلامية بالدول الأخرى أو علاقتها بغير المسلمين الذي يعيشون في داخل الدولة الإسلامية.

وقد تم هذا الإقرار بحقوق الإنسان قبل خمسة عشرة قرنًا من الزمان في وقت كان العالم فيه ينتهك حقوق الإنسان أو يجزؤها أو يطبقها بشكل تمييزي على بعض الأفراد ويحرم منها الآخرين تحت مسميات عدة كاختلاف اللون أو العرق أو الجنس أو أي اختلافات أخرى، فجاءت الشريعة لتعلن دفعة واحدة وعلى نحو متكامل وشامل وفي زمن واحد وبالتحديد في القرن السابع الميلادي أن الناس سواسية كما في قوله تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها) (٣١)، وقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) (٣٢).

كما جعل الإسلام للإنسان قدرًا واحترامًا وتكريمًا كما في قوله تعالى (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلًا) (٣٣)، من هنا يتضح أن الشريعة الإسلامية أسبق في تقريرها لحقوق الإنسان على نحو أعمق وأشمل لما تضمنته المواثيق وإعلانات الحقوق المعروفة في وقتنا المعاصر.

لقد أقام الإسلام العلاقات على أساس السلام والإخاء الإنساني وتبادل المنافع في عدالة واحترام لآدمية الإنسان، فقامت مبادئه على العدل والرحمة والمساواة. كما في قوله تعالى (يأبها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا) (٣٤).

كما أن الإسلام نهى عن العدوان في الكثير من سور القرآن كما في قوله تعالى (أدعو ربكم تضرعًا وخفية إنه لا يحب المعتدين) (٣٥)، وقوله تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) (٣٦).

(٣١) الآية ١٨٩ من سورة الأعراف

(٣٢) الآية ١٣ من سورة الحجرات

(٣٣) الآية ٧٠ من سورة الإسراء

(٣٤) الآية ١٣ من سورة الحجرات

(٣٥) الآية ٥٥ من سورة الأعراف

(٣٦) الآية ٦١ من سورة الأنفال

رابعاً: الحق في التنمية (٣٧)

إذا نظرنا للتنمية من حيث المفهوم اللغوي نجد أنها تعبر عن التطور والإتجاه نحو الزيادة والنماء في جميع الحقول الاقتصادية والاجتماعية

والسياسية والتربوية والثقافية، وهو ما يعني أيضا العمليات التي تحول الموارد إلى منتجات أو عمليات الإنتاج بشكل يؤدي إلى الزيادة والنماء لتلك الموارد، بما يحقق أكبر عائد من تلك العمليات.

ولو نظرنا لما جاء في الشريعة الإسلامية من بيان لأهمية التنمية نجد أن الاهتمام بالتنمية قد انطلق من أساسها وهو الموارد الطبيعية التي هي من خلق الله كما في قوله تعالى (الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) (٣٨)، وكما في قوله تعالى (أخرج منها ماءها ومرعاها) (٣٩)، وهو سبحانه بين عملية الاستفادة منها كما في قوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) (٤٠)، وهو ما يعني أن الأكل والشرب ليس غاية في حد ذاته وإنما وسيلة تأخذ بقدرها دون تقتير أو إسراف كما في قوله تعالى (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة) (٤١)، هذه الآيات وغيرها تدعو الإنسان إلى تنمية الموارد الطبيعية بما يؤدي إلى زيادة الإفادة منها لمصلحة جميع الأجيال كما في قوله تعالى (أمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم اجر كبير) (٤٢).

وكذلك قوله تعالى (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (٤٣)، فهذه الآيات تدل كلها على أن تلك الموارد بما فيها البحر خلقت من أجل الإفادة الجماعية من خيراته وإمكانياته.

كما أن هذا الحكم ينطبق على الأرض أيضا وهو ما يظهر في قوله تعالى (الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) (٤٤).

ولا ننسى أن اكتشاف الإنسان للنار كان من نعم الله كما في قوله تعالى (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا انتم منه توقدون) (٤٥).

(٣٧) التنمية في اللغة أخذت عدة تعابير تبين المراد منها، فحسب التعريف اللغوي في معاجم اللغة العربية نجد أن التنمية أسم مشتق من فعل (نما، ينمو، نموا بمعنى الإكثار والزيادة، وهي مصدر مباشر للفعل نمى وأنميت الشيء جعلته ناميا، وتنمية. انظر: ابن منظور. لسان العرب. المجلد الثالث - بيروت ص ٧٢٥

(٣٨) الآية ٥٢ من سورة طه

(٣٩) الآية ٢١ من سورة النازعات

(٤٠) الآية ٢١ من سورة الأعراف

(٤١) الآية ٩٦ من سورة المائدة

(٤٢) الآية ٧ من سورة الحديد

(٤٣) الآية ٢١ من سورة الجاثية

(٤٤) الآية ٢٢ من سورة البقرة

(٤٥) الآية ٨٠ من سورة يس

كما يسر سبحانه الأرض وذلها للإنسان كما في قوله تعالى (الذي جعل لكم الأرض مهذا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون) (٤٦).

ومن نعمه سبحانه إنزال المطر كما في قوله تعالى (ألم ترى أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير) (٤٧).

خامسا: الحق في سلامة البيئة الطبيعية

ينطلق التعريف العام للبيئة من فكرة أن الكائن الحي بصفة عامة يؤثر ويتأثر بالبيئة (٤٨)، والبيئة في المنظور الشرعي تتبدى من سياق العديد من آيات القرآن الكريم، والتي تنبئ في مجملها عن أن البيئة في الشريعة الإسلامية هي (الكون بما يحويه من سماء وأرض وما بينهما من عناصر تتواصل بعضها ببعض الآخر من أجل استمرار الحياة) (٤٩)، أو (جملة الأشياء التي تحيط بالإنسان؛ بدءا من الأرض التي تقله وصعودا إلى السماء التي تظله وما بينهما من العوامل والمؤثرات المختلفة) (٥٠).

من هذين التعريفين يتضح لنا أن كل ما يقع تحت حس الإنسان ومشاهداته يدخل في تعريف البيئة، ويعرف هذا الكل بالعناصر التي تضم مختلف المكونات حية وغير حية ترتبط ببعضها البعض ارتباطا وثيقا، وتتألف المكونات غير الحية من الماء والهواء والأرض، كما تتألف المكونات الحية من النبات والحيوان (٥١)، وهي من هذا المنظور تتميز بأنها مهیئة لحياة الإنسان، كما تتميز بأنها تعمل وفق تناسق وتناغم (٥٢).

(٤٦) الآية ١٠ من سورة الزخرف

(٤٧) الآية ٦٣ من سورة الحج

(٤٨) د. رضوان أحمد أحماد - حق الإنسان في بيئة سليمة - رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة القاهرة - ١٩٩٨م ص ٥، كما أن هناك عدة تعريفات للبيئة، وذلك بحسب اختلاف زاوية النظر إليها، وهي في مجملها تكشف عن المقصود بمصطلح البيئة وتحدد المعنى الدقيق له، وقد ورد لفظ البيئة في اللغة العربية بعدة معان منها ما يعني المكان كقوله أباؤه منزلا وبوآه إياه وبوآه له وبوآه فيه، بمعنى هياؤه وأنزله ويمكن له فيه، والاسم البيئة واستبابة أي اتخذ مباءة بمعنى نزل وحل فيه. والبيئة والباء والمباة مرادفات للمنزل وقيل منزل القوم أي الموطن ويأتي بمعنى الحال: حال التبوؤ وهيئته وهي الاسم من البؤ. كما يأتي بمعنى المحيط فيقال " الإنسان ابن بيئته ". ويأتي بمعنى البيئة الإجتماعية أيضا فيقال " وأنه لحسن البيئة " انظر ابن منظور - لسان العرب - الجزء الأول - بيروت ص ٢٨٤.

(٤٩) د. عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي - البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني - القاهرة - ١٩٩٤م ص ١٠٣

(٥٠) د. عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي - مرجع سابق، ص ١٠٣

(٥١) حماية البيئة في الإسلام، مصلحة الأرصاد وحماية البيئة العربية السعودية، ١٩٩٣م ص ٦ إلى ١٤

(٥٢) د. يوسف القرضاوي، رعاية البيئة في شريعة الإسلام، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٢

وفيما يتعلق بالحق في البيئة فقد كان الإسلام سباقاً إلى الإقرار بحق الإنسان في أن يعيش في بيئة صحية ونظيفة، ومن هنا جاء حرصه على رعايتها ووضع الأسس والمبادئ التي تكفل حمايتها من التلوث، وفي التنبيه لأهمية البيئة ودورها الحيوي في حياة الإنسان نقول: إننا لو نظرنا إلى النظام الذي يحكم البيئة سنجد كيف تتوازن مكونات ذلك النظام من أجل إحداث التوازن في حياة الإنسان، ذلك أن الله تعالى جعل للبيئة نظاماً يحكمها تتعايش عناصره وموارده في نظام متكامل، فتختص العناصر الحية بالتنوع الحيوي أو البيولوجي وتختص العناصر غير الحية بالدورات الحيووية (٥٣)، ولقد أشار القرآن الكريم إلى دقة هذا التشكيل بقوله تعالى (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) (٥٤).

هذا النظام الحيوي طرأ عليه خلال السنوات الأخيرة وبالذات منذ النصف الثاني من القرن العشرين ما أنبأ به القرآن الكريم في قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) (٥٥)، إن النظرة العميقة لما جاء في الآية السابقة تكشف تماثل العناصر المتضمنة في لفظ الفساد ولفظ التلوث المستحدثة، وتكمن هذه العناصر فيما يلي:

- ١) حدوث تغيير بالبيئة في كافة مكوناتها المائية والبرية والجوية (ظهر الفساد في البر والبحر)
- ٢) نسبة ظهور ذلك التغيير إلى الإنسان (بما كسبت أيدي الناس)
- ٣) النتائج من معاناة وأذى (ليذيقهم بعض الذي عملوا)
- ٤) استدراك ما أحدثوه من فساد (لعلهم يرجعون) (٥٦).

لقد تمادى الإنسان في سعيه نحو المزيد من الترف وتحصيل متع الحياة إلى الدرجة التي أحدث فيها اختلالاً جسيماً بهذا النظام، فظهر الفساد فيه واختل توازنه وبدأ الإنسان يعاني من جراء هذا الاختلال ونسى قول الله سبحانه وتعالى (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) (٥٧).

إن بغي الإنسان في الأرض وجهله بنواميس الكون التي سنها الله سبحانه وتعالى وخروجه على مقتضيات المهمة التي أناطها الخالق به عند ما استأمنه على الكون واستخلفه في عمارة الأرض كل ذلك أدى إلى اختلال النظام وتدهور البيئة.

لقد جاء الإسلام بأسس ومبادئ لو تم اعتمادها من بني البشر لضبطت سلوك الإنسان في تعامله مع البيئة، ذلك أن حق الإنسان في البيئة يعادله واجبه تجاهها، وإذا كان تعدي الإنسان على البيئة وإخلاله بواجباته تجاهها قديماً عبر عصور مختلفة، فإن هذا التعدي يتجاوز مداه اليوم في عصرنا الحاضر ويتفاقم خطره كان هذا التعدي قد تجاوز اليوم مداه فتفاقم خطره.

لقد رمز القرآن الكريم إلى التلوث الذي يضر بالبيئة بالفساد، لما للفساد من وقع أكثر عمقا وأوضح دلالة (٥٨).

(٥٣) د. احمد عبدالكريم. قانون حماية البيئة الإسلامي. القاهرة. ١٩٩٦م ص ٣٠.

(٥٤) الآية ٢ من سورة الفرقان

(٥٥) الآية ٤١ من سورة الروم

(٥٦) د. احمد عبدالكريم. المرجع السابق. ص ٤٨.

(٥٧) الآيات ١١-١٢ من سورة البقرة

(٥٨) د. احمد عبدالكريم. قانون حماية البيئة الإسلامي. القاهرة. ١٩٩٦م ص ٣٠

لقد أكد الإسلام على وجوب توفير الحماية لكل مشتملات البيئة المائية المالحة والحلوة والأرضية والجوية.

فيما يتعلق بالبيئة المائية أبان الإسلام عن أهمية الماء في قوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي) (٥٩)، فهو سر الوجود وعماد الحياة، ولأهمية الماء تطلبت الكثير من القواعد الشرعية ضرورة الحفاظ عليه، وحمايته من أن يطاله الفساد، وأول هذه القواعد هي النهي عن إفساده، أو تلويثه، حيث أنه - وبحسب الأصل - طاهر نظيف، وهو ما يبين من قوله تعالى (وأسقيناكم ماء فراتا) (٦٠)، وقوله تعالى (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) (٦١)، كما نهى عن الإسراف والتبذير في الماء في قوله تعالى (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (٦٢)، كما بين أن هذه البيئة هي لكل الناس، وخاصة الماء كما في قوله تعالى (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) (٦٣)

هذه النظرة الشرعية للبيئة ككل متكامل تتجلى في قوله تعالى (الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى، كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهي) (٦٤).

كما أبان الإسلام عن أهمية البيئة البرية وقيمتها ومبلغ الحرص عليها بما تحويه من غطاء نباتي وأحياء برية ومكونات غير حية، وأهمية البيئة الجوية ودورها في استمرار الحياة على الأرض.

فالحق في البيئة أي العيش في وسط طبيعي صالح لاستمرار الحياة هو من أساسيات الأمن الاجتماعي، وذلك باعتبار الإنسان مستخلف في الأرض، ولذا تقع عليه مسؤولية الحفاظ عليها وحمايتها من التلوث دون إسراف، مع مراعاة حق الأجيال القادمة في العيش في بيئة سليمة من الفساد بكافة أشكاله وجميع أنواعه.

(٥٩) الآية ٣٠ من سورة الأنبياء

(٦٠) الآية ٢٧ من سورة المرسلات

(٦١) الآية ٢١ من سورة الإنسان

(٦٢) الآية ٣١ من سورة الأعراف

(٦٣) الآية ٢٨ من سورة القمر

(٦٤) الآية ٥٢ من سورة طه

الخاتمة

إن عناية الإسلام بالأمن الاجتماعي تتجلى في الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وهي عناية تستند على مدى أهمية الأمن الاجتماعي في المنظومة السلوكية الإسلامية، ذلك أن توافر الأمن الاجتماعي يشكل ضرورة لا بد منها حتى يتكامل بنيان المجتمع المسلم، باعتباره عاملاً أساسياً في حفظ تماسك المجتمع وتطوره واستقراره.

لقد أبانت لنا هذه الدراسة أن المقصود بالأمن الاجتماعي هو السلوك أو

الموقف نحو الآخرين، أي العلاقات الاجتماعية التي تتوفر فيها الطمأنينة التي تنفي الخوف والفرع عن الإنسان فراداً أو جماعات في سائر ميادين العمران البشري.

أن الرؤية الإسلامية للأمن الاجتماعي ترتبط ارتباطاً جذرياً بالعمران الإنساني الذي تعده هذه الرؤية من باب الضرورات.

كما أن الأمن الاجتماعي يركز على مقومات يأتي على رأسها تماسك المجتمع، الذي هو نتيجة لإحساس الأفراد بالانتماء إلى وطن واحد، تبعاً لتوافقهم على مبادئ سلوكية وأخلاقية واحدة. ويوفر الإسلام الأساس المتين لهذا الانتماء والتوافق بما يقدمه من أوامر ونواه تتوحد لدى مختلف شرائح المجتمع فتصهرهم جميعاً بما يوفر مجتمعاً متماسكاً وترابطاً.

أن الأمن الاجتماعي يتحقق عبر توفر العديد من الحقوق التي يقع على كاهل الأهل الذين يجب عليهم توفير بيئة تربوية سليمة، كما يقع على كاهل الحكومات توفير الاستقرار، في حين يقع على جماعات الدول توفير السلام للبشرية قاطبة، أما مسؤولية توفير البيئة الطبيعية السليمة فإنها تقع على كل أولئك.

